بسم الله الرحمٰن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

مُقَدِّمة

علاقة الإنسان بالله علاقة أزلية؛ فمنذ خلق الإنسان كانت الصلة بينه وبين الإلٰه قائمة، وتكوينية أيضاً، إذ فطرة الإنسان تتعرف على الخالق تلقائياً وتبحث عن مسالك الصلة به والحصول على رضاه، ولئن كانت الصلة أزلية وتكوينية إلا أنها لم تكن تلقائية إنما جعلها الله عبر وسطاء هم الرسل، وكان إرسالهم متدرجاً عبر التاريخ، فكان الأنبياء يبعثون في أحلك الأزمات التي يمر بها أقوامهم، ولئن توقفت الرسالات بختم النبوة، فإن الأزمات التي تلجئ الإنسان إلى الصلة بالخالق لم تتوقف بل هي بازدياد، وعليه فإن أزمة الإنسان المعاصر ذات الطابع الكوني تستدعي بعث ذكرهم من جديد واستحضار رسالتهم التي بلَّغوها والقيم التي دعوا إليها، ومما يؤكد ضرورة هذه المقاربة كون الرسل محور تجاذب بين الأديان، والتي تشهد حضوراً ملحاً ومتنامياً في الحياة المعاصرة، ويأخذ هذا الحضور أبعاداً متناقضة بين من يدعو للحوار والتواصل بينها دعماً للحوار بين الحضارات، وبين من يستدعيها ليوظفها في إطار مصالح يخدمها

دفع الصدام بين الأديان والحضارات، ولم يكن أهل الأديان بمعزل عن ترويج هذين التيارين.

والإسلام بما هو دين رحمة للعالمين ويدعو للحوار والتواصل كما نؤمن به، يدعونا للتعرف على سيرة النبيين والاقتداء بهم واتباع سننهم، وهذا يقتضي منا التعرف على ما جاء به الرسل وما ورد عنهم في القرآن، هذا التعرف على رسالات الأنبياء فضلاً عن كونه ضرورة إيمانية هو شرط معرفي للحوار بين الأديان، إذ من الأساسي في هذا المجال أن يكون تصور المسلم متماسكاً بخصوص موقف الإسلام من الأديان السابقة عليه وأصولها النبوية التي يؤمن بها المسلمون، وبالتالي فالعودة إلى دعوة الرسل لدراستها تعتبر لصيقة بأحدث قضايا الإنسان الكونية.

بهذا البعد المعرفي تأتي هذه الدراسة والبحث في رسالات الأنبياء عليهم السلام، وكان السؤال الأهم فيها يرتكز حول مضمون هذه الرسالات، ومنهجها، وطبيعة علاقتها مع بعضها، وأين تكمن الخصوصية فيها؟ وكيف تتكامل مع بعضها؟ كل هذه الأسئلة بُحِثَت من خلال دراسة نسقية تاريخية لموارد ذكر الرسل في القرآن الكريم، من بدء الرسالات إلى ختم النبوة.

وقد حصرت مجال الدراسة في القرآن الكريم إذ مجال الموضوع متشعب ولا يمكن دراسته بشموليته مقارناً، والدراسات المتعلقة بالنبوة والرسل لم تأخذ حظها من الدرس في القرآن، إذ تم تداولها في نطاق دراسات القصص القرآني التي أخذت طابعاً

تاريخياً يعتمد على غير القرآن بشكل أساسي، أو طابعاً وعظياً لأغراض دعوية، بينما اتخذت الدراسات العلمية المتخصصة طابع مقارنة الأديان التي تعتمد على التراث الكلامي أكثر من النص القرآني، فالمكتبة الإسلامية بحاجة إلى دراسات قرآنية متخصصة لمواضيع النبوة والرسالة والأديان، ودراستي تحاول ملء جانب من الفراغ المتصل بهذا المجال.

بدأت الدراسة **بتمهيد** حول ما ورد في القرآن عن الرسل بإجمال دون تفصيل، ثم درست مضمون دعوة كل منهم ضمن بابين، الباب الأول: **الرسالات السابقة** والباب الثاني: **الرسالة الخاتمة**، ويرجع هذا التقسيم إلى حجم حضور الرسالات في القرآن، وكون الحديث عن الرسالة الخاتمة يتضمن الحديث عن الرسالات السابقة في إطار بيان العلاقة معها، واحتوى كل باب على فصلين، فقسمت الرسالات السابقة إلى **الرسالات الأولى** (الفصل الأول) و**الرسالات الكتابية** (الفصل الثاني) وذلك لأن اقتران الرسالات بالكتاب يشكل مرحلة مفصلية في تاريخ الرسالات آلت إلى بقاء الكتاب من غير الرسل عند ختم النبوة، فدرست ضمن الرسالات الكتابية دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وما بينهما، أما من تبقى من الرسل فدرسنا رسالتهم في الرسالات الأولى التي بدأت مع آدم عليه السلام، وأدرجت في زمرتهم من لم يقم دليل نصي على تحديد زمانهم، أما الباب الثاني فقد درست انتقال الرسالة **من أهل الكتاب إلى الأميين** والبيئة التي انطلقت منها الرسالة الخاتمة وحديث القرآن عن الرسول الخاتم ﷺ

(الفصل الأول)، ثم درست **علاقة الرسالة الخاتمة بما قبلها من الرسالات** (التصديق والهيمنة) **وتأسيسها لما بعدها** من خلال بيان خصائص الرسالة وما يحمله ختم النبوة من دلالات (الفصل الثاني)، ثم ختمت بملخص تركيبي لأهم ما لاحظته في دعوة كل رسول مع الربط بين جميعهم.

ويندرج موضوع الدراسة ضمن تخصص التفسير الموضوعي عموماً، والذي يستدعي عدداً المناهج البحثية التي تسهم في إثراء الموضوع، فاعتمدت على الاستقراء والإحصاء والوصف والتحليل والتركيب، فأحصيت الآيات التي وردت حول كل رسول ثم صنفت مضمونها ضمن زمر موضوعية أحلت على أماكن ورودها في القرآن، واستخلصت من مجموع هذه الآيات ما يتعلق بمضمون دعوة الرسول، فحاولت تحليل المعطيات القرآنية المتعلقة بالبيئة التي بعث فيها كل رسول، ثم بيان مضمون دعوة الرسول في قومه، ثم استخلاص ما هو خصوصي وما هو تكاملي فيها، وفي كل مرحلة حاولت تجلية الربط بين كل رسول وبقية الرسل، وقد تفاوتت المقاربة بين رسول وآخر بحسب حضوره في النص القرآني، ففي دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لم يقتصر الحديث عنهما إنما تطرق إلى مصير دعوتهما من بعدهما، وهذا ما اقتضى تفصيلاً لم يرد فيما يخص غيرهما ولم نقتصر فيه على الدلالات القرآنية بل قارناها بما ورد حول بعض الجوانب في دراسات تاريخية أو فلسفية، وكذلك بالنسبة للرسول الخاتم ﷺ كانت دراسة دعوته تستحضر بشكل أساسي صلتها بالرسالات السابقة وختمها للنبوة.

وقد استوعبت مدونة المصادر التي اعتمدت عليها مساحة زمنية ممتدة بدءاً من أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة وصولاً إلى أحدث الدراسات القرآنية ذات الصلة، ونفس الأمر فيما يتعلق بمراجع تتعلق باللغة وعلم الكلام والفلسفة مما له صلة بالموضوع.

وفيما يتعلق بموضوع النبوة والرسالات السابقة فإن المصادر لم تسعف كثيراً بمادتها العلمية إذ لم أجد فيها إلا إشارات عابرة، إذ اتخذ الجانب التاريخي الهاجس الأهم لدى معظم المفسرين، مما جعل ضالتي مفقودة في مظانها وربما وجدتها في المدونات غير التفسيرية أكثر، وهذا ما زاد حماسي في طلبها من النص القرآني، أما المدونات المتأخرة فقد جمعت بين تناقض الكم والكيف فيما له صلة بموضوع النبوة ودعوة الرسل، فبينما نجد عشرات المدونات المتعلقة بالموضوع، لا نجد فيها إضافة نوعية يمكن اعتبارها مرجعاً علمياً إلا ما ندر، فقد كانت في معظمها تجمع متفرقات ما ورد في التفاسير وكتب التاريخ ـ لا سيما من الإسرائيليات ـ إما تزيدها هشاشة أو تنقدها على استحياء فلا تخرج من الطابع التاريخي، وكان الهدف منها وعظياً يلبي طلب العامة لمعرفة قصص الأنبياء، وربما كان طلب هذا النوع من المدونات سبباً في كثرة ما كتب في الموضوع، فكان الدافع تجارياً مما زاد في هشاشة المضمون.

ويمكن تصنيف معظم ما كتب حول النبوة والأنبياء في هذا المجال ضمن ثلاثة محاور:

١ ـ مؤلفات تتعلق بقصص الأنبياء والقصص القرآني عموماً، وهذه طابعها تاريخي وغالباً ما يُعتمد فيها على غير القرآن الكريم أو يقارن بمصادر أخرى، وقد اشتهر من مدونات التراث في هذا المجال ما كتبه ابن كثير والثعالبي والكسائي وغيرهم حول قصص الأنبياء، وقد اشتهر في العصر الحديث عدد من الكتب التي تتناول هذه المواضيع وبعضها أثار الجدل، لكن ما يجمعها هو الطابع التاريخي والقصصي أو نقد هذا الطابع، وهي متفاوتة في عمقها وفي بعضها مقارنة بين القرآن والتوراة، والغرض في معظمها وعظي دعوي[١].

٢ ـ مؤلفات تتعلق بقضايا النبوة والرسالة والأنبياء، وذلك

(١) نشير فيما يلي إلى نماذج من العناوين الرائجة في هذا المجال، وذلك بغض النظر عن قيمتها العلمية أو اعتمادها ضمن الدراسة أو عدمه: (قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (كتبه المؤلف عام ١٩٣١م)، ط١، دار الخير، دمشق ١٩٩٥م، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، الحاج محمد وصفي (طبع أول مرة ١٩٦٥م وقدم الكتاب لمسابقة في الموضوع أجراها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة)، ط١ الجفان والجابي، قبرص ١٩٩٧م، إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ط: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، الأنبياء في القرآن، محمود الشرقاوي، ط: دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م، الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥م، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال العمري، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦م، مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، يوسف في القرآن الكريم والتوراة، زاهية الدجاني، ط١، دار التقريب بين المذاهب، بيروت ١٩٩٤م، رسالات الأنبياء، عمر أحمد عمر، ط١، دار الحكم، دمشق ١٩٩٧م).

من مدخل البحث العقدي والفلسفي، وتتصدر القائمة في التراث الإسلامي مدونات الفارابي والماوردي والرازي وابن تيمية حول النبوات، ونجد في الفترة المتأخرة عدداً من المدونات في هذا المجال بعضها كان تلخيصاً وتبسيطاً لما ورد في كتب علم الكلام والعقائد، والبعض الآخر فيه مقارنة مع الأديان الأخرى[1]، لكنها في معظمها كتابات مدرسية تبتعد عن النقد وتتسم بالتكرار، وتوجد في هذا المجال دراسات جامعية اهتم معظمها بالمقارنة بين مختلف السياقات التي تناولت قضايا النبوة بين تيارات الفكر الإسلامي، أو بين الأديان، وهي تعالج غرضاً علمياً محدداً وهي مختلفة في عمقها، وبعضها لا يقل سطحية عن بعض المدونات التي أشرنا إليها[2].

---

(١) نشير إلى العناوين التالية كنماذج لما كتب في هذا المجال: (النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٩م، نظرية النبوة في الإسلام، طه الدسوقي، ط: دار الهدى، مصر ١٩٨١م، فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسُّنَّة، آدم عبد الله الألوري، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٣م، النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م، النبوة في الإسلام، عبد الحميد صديقي، ترجمة: كاظم جوادي، ط١، دار القلم، الكويت ١٩٨٩م، الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ط٥، دار النفائس، عمان ١٩٩٠م، النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي، علي عبد الفتاح المغربي، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٤م، النبوة في العقيدة الإسلامية، عبد المنعم إبراهيم محمد الصبحي، ط١، مطبعة الأمانة، مصر ١٩٩٦م، قضايا النبوة والأنبياء في ضوء الفكر الإسلامي، محمد شحاته إبراهيم، ط١، المكتب العلمي الحديث، مصر ١٩٩٧م).

(٢) نسجل في هذا المجال عناوين الرسائل التالية: (النبوة بين فلاسفة المسلمين ومفكري أهل السُّنَّة/ دراسة مقارنة، إبراهيم سعد شلبي، ماجستير، قسم الفلسفة بكلية الآداب، =

٣ ـ مؤلفات تتعلق بالدعوة إلى الله والعبرة من قصص الأنبياء، وذلك لتلبية حاجة الوعاظ ببيان منهج الرسل في الدعوة، واستخدم البعض الجانب المشترك في دعوة الرسل لدين واحد للترويج لفكرة العالمية إما باعتبار الإسلام إطاراً لها أو من منطلق وحدة الأديان، وقد راج هذا التيار في الستينات من القرن الماضي[١].

= جامعة عين شمس ١٩٧٣م، الحقائق المشتركة بين رسل الله في القرآن الكريم، السيد أحمد سويلم علي، ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر ١٩٨٠م، النبوة بين الفلسفة والتصوف، عبد الفتاح أحمد الفاوي، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٨٠م، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة، عبد الشكور ابن الحاج حسين، دكتوراه في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر (د.ت)، الوحي والنبوة في الأديان السماوية، أحمد المشرقي، دكتوراه حلقة ثالثة، المعهد الأعلى للحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة ١٩٩٣م، مكانة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام وأثرها في الدعوة إلى الله، عبد الناصر أحمد حسيب صالح، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر ١٩٩٤م، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام/ دراسة تحليلية مقارنة، عبد الراضي محمد عبد المحسن، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٩٥م، ويلاحظ هذا الأخير في مقدمة أطروحته أن الدراسات حول النبوة في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية لم تخرج عما هي عليه في العربية إما ثقافية مبسطة أو أكاديمية متخصصة اقتصرت على جزء من الموضوع تناولته بمنهج تاريخي).

(١) نسجل من العناوين ذات الصلة بهذه المحاور ما يلي: (دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، ط١، البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٣٥م، عالمية الدعوة الإسلامية، علي عبد الحليم محمود، ط١، دار الوفاء، القاهرة ١٩٩٢م، وفاز الكتاب سابقاً بمسابقة نظمها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر عام ١٩٦٠م بعنوان (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية)، عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل، ط١، دار البشير ـ طنطا ١٩٩٧م، الإسلام دين الإنسانية، محمد علي، (مترجم عن الإنكليزية)، ط: الأهلية، بيروت ١٩٤٦م، الرسالات الكبرى، =

يضاف إلى ما ذكر كتابات مقارنة الأديان التي ركزت على مواضيع النبوة والرسالة أو قضايا تتعلق بها لكن اعتمادها على القرآن كان ضئيلاً وغير مباشر، وكذلك بعض الدراسات المقارنة التي تناولت موضوعاً معيناً وقارنته بينها، هذا وكان موضوع القصص القرآني والأنبياء والأديان في القرآن فرصة للمستشرقين لتأكيد نظرياتهم حول القرآن والإسلام[1].

هذه خارطة اتجاهات المدونات حول النبوة والأنبياء والرسالة والرسل، وظاهر من طابعها العام توزع مقاصدها بين ما هو تاريخي وما هو وعظي وما هو مدرسي، ومعظمها لأغراض دينية وبعضها لأغراض أدبية أو استشراقية، وقد حاولت من تتبعها

= سنية قراعة، ط: مكتب الصحافة الدولي، القاهرة ١٩٦٦م، دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل، محمود أبو ريه، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦٨م، في الإيمان والإسلام، أحمد حسين، ط: دار القلم، القاهرة د.ت، الأمة الإنسانية، أحمد حسين، ط: المطبعة العالمية، مصر ١٩٦٦م (يدعو فيه لوحدة الإنسانية)، الإسلام ضرورة عالمية، زاهر عزب الزغبي، ط: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م، الدولة العالمية في القرآن، عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الندوة الإسلامية ١٩٩١م).

(١) ذكر محمد حسين علي الصغير في كتابه: المستشرقون والدراسات القرآنية، ص٧٢ ـ ٧٥ (ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٦م) عدداً من العناوين التي أنتجها المستشرقون في هذا المجال أذكر منها: إبراهيم في القرآن: للمستشرق الهولندي فان جنيب، مجلة العالم الإسلامي ١٩١٢م، عيسى في القرآن: بحث لأدولف جروهمان في الصحيفة الشرقية لفينا عام ١٩١٤م، الهجادة في قصص القرآن: بقلم سجبار، ليبزيج ١٩٠٧م، مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء: بقلم سايدر سكاي، باريس ١٩٣٢م، القصص الكتابي في القرآن: بقلم سباير، جريفنا ينخن ١٩٣٩م، النصرانية واليهودية في القرآن، للمستشرق الألماني بومشتارك مجلة الإسلام ١٩٢٧م.

وغيرها تلمس بعض الإشارات والدلالات التي تساعد في تعميق النظر في محور دراستي الخاص، هذه الكثرة الكمية في المدونات جعلت ما هو مظنة لسهولة البحث من أبرز الصعوبات التي اعترضتني.

ومما زاد الصعوبة العملية في دراستي كثرة الآيات المتعلقة بالرسل في القرآن الكريم، فكان عليَّ تتبع ذكر كل نبي في القرآن سواء باسمه أو بوصفه أو الإشارة إليه، وجمع الآيات المتعلقة به وتصنيفها حسب مضمونها، ثم اختيار ما تشير إليه مما يتعلق بمضمون دعوة كل رسول.

ويمكن اعتبار ما انتهت إليه الدراسة ملخصاً لما طلبه الرسل عليهم السلام من أقوامهم عبر التاريخ، فخلاصة ما طلبوه، لا سيما المشترك بينهم، هو مضمون رسالة الله إلى الإنسان، ماذا يريد الله منا؟ وكيف؟ وكيف تستمر هذه الرسالة بعد انقطاع الرسل؟ الإجابة هي موضوع هذه الدراسة القرآنية كما حاولت أن أستخلصها، وتبقى الإجابات جهداً واجتهاداً في فهم النص القرآني، والتعرف على رسالة الله كما يعرضها.

والله عز وجل أسأل أن أكون وفقت في مسعاي، وهو من وراء القصد، وله الحمد.

عبد الرحمٰن حللي